العمل الصالح طريق التغيير

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت لبنان ص ب ٦٠٨٠ / ١٣ شوران

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

صدق الله العلي العظيم

سورة البقرة: ١٧٧

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم...

والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية..

والمعاناة السياسية والاجتماعية التي نقاسيها بمضض...

وفوق ذلك كله الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئن من وطأتها العالم أجمع...

والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرة في حل جميع أزماته ومشكلاته في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة..

والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة إلى الحياة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبث الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق بأهداب الجفون وذرف العيون ومسلات الأنامل..

كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بإعداد مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقمنا بطباعتها مساهمة منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد..

وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل:

﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون﴾[1].

الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وانذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في كل مواقفه وشؤونه..

كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[2].

إن مؤلفات سماحة آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة لكونها إنعكاساً لشمولية الإسلام..

فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءاً من موسوعة الفقه التي تجاوزت ـ حتى الآن ـ المائة والخمسين مجلداً، حيث تعد إلى اليوم أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية مروراً بعلوم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي قد تتجاوز بمجموعها الـ(١٥٠٠) مؤلفاً.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن والسنة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية لمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر.

رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(القانون) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧-١٨.

وبشواهد من مواقع الحياة.

هذا ونظراً لما نشعر به من مسؤولية كبيرة في نشر مفاهيم الإسلام الأصيلة قمنا بطبع ونشر هذه السلسلة القيمة من المحاضرات الإسلامية لسماحة المرجع (دام ظله) والتي تقارب التسعة آلاف محاضرة ألقاها سماحته في فترة زمنية قد تتجاوز الأربعة عقود من الزمن في العراق والكويت وإيران..

نرجو من المولى العلي القدير أن يوفقنا لإعداد ونشر ما يتواجد منها، وأملاً بالسعي من أجل تحصيل المفقود منها وإخراجه إلى النور، لنتمكن من إكمال سلسلة إسلامية كاملة ومختصرة تنقل إلى الأمة وجهة نظر الإسلام تجاه مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية الحيوية بأسلوب واضح وبسيط.. إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان /ص.ب: ١٣/٦٠٨٠ شوران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين[٣].

الإخلاص في العمل

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٤].

عندما يفتح المجتمع صدره واسعاً للموعظة الحسنة، والكلمة الطيبة.. لتنمو فيه بذور الإخلاص وتتكاثر؛ فسوف يجد نفسه ـ تلقائياً ـ وقد خطا خطواته الأولى نحو السعادة والتطوّر.

والمخلصون ـ وحدهم ـ هم الذي يستشعرون المتعة واللذة حين يستمعون للمواعظ، وتراهم ينصتون إليها خاشعين، ولا يعدلون بها أي شيء آخر، فان العمل الخالص وإن قلّ إلا أنه ينمو ويثمر.

---

(٣) ألقيت هذه المحاضرة بتاريخ: ١٤/ذي الحجة/١٤٠٦هـ.

(٤) سورة النور: ٣٤.

ستة آلاف كلمة

وإننا نجد هذا المعنى بكل وضوح في أمير المؤمنين □، حين يخيّره الرسول العظيم □ .كما جاء في (المواعظ العددية) . فيقول له: «يا علي أي الثلاث تختار، ألف شاة، أم ستة آلاف دينار، أم ستة آلاف كلمة، فقال □: ان ستة آلاف كلمة أحب إلى نفسي، فقال له رسول الله □: سأضع لك تلك الستة آلاف كلمة في كلمات مختصرة: إذا رأيت الناس أقبلوا على كثرة العمل فعليك بصفو العمل».

إن هذه الرواية تهتم بالإخلاص والصفاء في العمل أكثر مما تهتم بالنتائج(٥)، لأن فائدة العمل تستمد من الإخلاص والصفاء فيه، فلا عمل يصعد إلى الله تعالى إلا بنية خالصة، مهما كانت المنافع التي تنشأ عنه.

ولذا قد يكون العمل الضئيل المخلص أرفع وأسمى من عمل جبار وكبير لأن الميزان في العمل ليس الكثرة أو الكبر بل الإخلاص هو المعيار الأساسي في العمل عند الله الحكيم، وبهذا يفتح الإسلام الطريق أمام أي فرد . مهما كانت إمكاناته وقدراته . على النفع الاجتماعي، والعمل المخلص النافع، للارتقاء إلى أسمى درجة في سلم النفس الإنسانية ومراحل كمالها، فقد قال جل وعلا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً**﴾(٦).

إذاً هذا هو تكريم الإسلام لقيمة الإخلاص والصفاء في العمل، وإن الرواية التي يرويها رسول الله □ ما هي إلا خلاصة لإحدى آيات القرآن المجيد القائلة:

---

(٥) فهي تنظر إلى الكيف دون الكم والكم غير مقصود دائماً، قال تعالى: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً**﴾ سورة البقرة: **٢٤٩**؛ فالكم هنا غير متوجه إليه وإنما المقصود الأهم في المعنى هو الكيف وهذا ما يشير إليه النبي □.

(٦) سورة مريم: **٩٦**.

﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾(٧)، إذ تشير إلى أن الميزان الذي على أساسه يكون تكريم وتقييم الإنسان هو العمل الصالح فالمقياس الواقعي للتمييز هو العمل الصالح ومن خلاله نستطيع تقييم الإنسان الصالح، ومن خلال العمل السيئ يمكن تشخيص الفرد غير الصالح ﴿**لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾(٨) ﴿**لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾(٩) .

(٧) سورة هود: ٧، وسورة الملك: ٢.

(٨) سورة الأنفال: ٣٧.

(٩) سورة الكهف: ٧.

العمل الصالح

وفي هذه الآيات وآيات أخرى من القرآن الكريم نلحظ تأكيداً واضحاً على أن العمل الصالح المخلص هو الذي يرفع الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلاَ**﴾[١٠].

والآن لنعد إلى أنفسنا حتى نعرف قدرنا. إذ «ولا معرفة كمعرفتك بنفسك»[١١] كما عن الإمام الباقر □، وقد قال الإمام أمير المؤمنين □: «أفضل المعرفة، معرفة الإنسان نفسه»[١٢]، وقال□: «من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة، وخبط في الضلال والجهالات»[١٣].

---

(١٠) سورة طه: ٧٥.

(١١) بحار الأنوار: ج٧٥ ص١٦٥ ب٢٢ ح١.

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣٢ الفصل ١ في النفس ح٤٦٣١.

(١٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣٣ الفصل ١ في النفس ح٤٦٦٤.

بين العمل الصالح والعمل الطالح

والسؤال الذي يُطرح هو: هل توجد لدينا القدرة على تمييز العمل الصالح عن العمل الطالح أم لا؟

في الحديث الوارد عن الإمام الباقر □ قال: «لا يُقبل عمل إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل، ومن عرف دلته معرفته على العمل ومن لم يعرف فلا عمل له»(١٤).

وكذلك عن الإمام الصادق □: «لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له ألا أن الإيمان بعضه من بعض»(١٥). وهذا السؤال بدوره ينشئ سؤالاً آخر وهو: بعد تمييز العمل الصالح عن طريق هذه القواعد التي وضعها أئمة أهل البيت □ يحق لنا التساؤل: هل اننا نعمل به أم لا؟ القرآن الكريم يؤكد ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾(١٦).

وقال سبحانه: ﴿**فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ**﴾(١٧).

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾(١٨).

وكذلك قال أمير المؤمنين □: «الشرف عند الله سبحانه بحسن الأعمال لا بحسن الأقوال»(١٩).

---

(١٤) تحف العقول: ص٢٩٤ ما روي عنه □ في قصار المعاني.

(١٥) الكافي: ج١ ص٤٤ باب من عمل بغير علم ح٢.

(١٦) سورة النحل: ٩٧.

(١٧) سورة القصص: ٦٧.

(١٨) سورة فاطر: ٧.

(١٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٣ الفصل ٤ في العمل ح٢٨٣٨.

وكذلك قال □: «العمل شعار المؤمن»[٢٠]. وقال الإمام الهادي □: «الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال»[٢١].

وجاء رجل إلى رسول الله □ قال: ما ينفي عني حجة الجهل؟ قال □: «العلم»، قال: فما ينفي عني حجة العلم؟ قال□: «العمل»[٢٢].

وكذلك قال الإمام أمير المؤمنين □: «العمل العمل، ثم النهاية النهاية، والاستقامة الاستقامة، ثم الصبر الصبر، والورع الورع، ان لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم وإن لكم علماً فاهتدوا بعلمكم، وإن للإسلام غاية فانتهوا إلى غايته..»[٢٣].

---

(٢٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥١ الفصل ٤ في العمل ح٢٧٧٧.

(٢١) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٣٦٨ ب٢٨ ح٣.

(٢٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٦٤ باب العتاب.

(٢٣) نهج البلاغة، خطبة: ١٧٦ يعظ ويبين □ فضل القرآن وينهى عن البدعة ويحث على العمل.

المسلمون في بلد الإسلام

في مقام الجواب عن السؤال نقول:

إن الناس ـ غالباً ـ وبسبب وجود حسن الظن عندهم يدّعون كلا العملين[٢٤]، إلا أن هذا الظن عند بعض الناس يكون جهلاً مركباً لا أكثر، ومما يؤكد ذلك هو تأخر المسلمين في القرن الأخير هذا، بحيث اصبح حال بعض المسلمين أسوأ دنيوياً حتى من أولئك الذين يعبدون البقر والأصنام، فمثلاً في الهند هناك عشرات الملايين من عبّاد البقر والبوذيين وعبدة النار وغيرهم، ونراهم يتمتعون بكامل حرياتهم بالرغم من انحرافهم ويحظون بأهمية على المستوى العالمي، في حين أن بعض المسلمين على العكس من ذلك بحيث لا يتمتعون بالحريات الهامشية فضلاً عن الحريات الأساسية لكل إنسان، كحرية السفر أو حرية التعبير عن الرأي او التجارة وغيرها من الحريات.

---

(٢٤) أ: القدرة على تمييز العمل الصالح من الطالح.

ب: العمل بالصالح من الأعمال.

من أسباب تخلف المسلمين

من أهم الأسباب التي أوصلت المسلمين إلى هذه الحالة . إضافة إلى ما قلناه . هو ابتعادهم عن الدين ودخول العقائد المنحرفة الاستعمارية إلى اغلب البلدان الإسلامية، وانتشار التحلل الخلقي في وسط الشباب المسلم، إلى غير ذلك من الأسباب التي قد تكون علتها الأساسية الاستبداد والدكتاتورية السياسية التي رسمها الاستعمار لنا كنموذج للحكم والحكومة.

وبعد كل هذه الويلات التي تجري على المسلمين والمصائب يمكن أن يقال بأن حال المسلمين البعيدين عن الدين هو أسوأ من حال الهندوس (عبّاد البقر)؟

ولأجل العودة إلى روح التقدم والخروج من هذه الحالة المتخلفة علينا الرجوع إلى تعاليم الدين التي هي ثورة فكرية تقود الإنسان إلى الكمال والرقي في جميع ميادين الحياة المختلفة، فالمنقذ الوحيد الذي يغير سوء حالنا إلى أحسن حال هو الدين الإسلامي والالتزام الكامل بقوانينه ومبانيه.

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٢٥]، وهذه الآية تبين لنا الإيمان التام بالرسول □ والطاعة الكاملة فيما يأمر به وينهى عنه، سواء أكان ما يأمر به أو ينهى عنه حكماً من الأحكام الشرعية، أو كان صادراً عنه لكونه الوليّ الذي له حق التصرف في أمور الأمة والالتزام بتعاليمه، فإنا إذا وضعناها نصب أعيننا (في حال كوننا نعيش الصراعات في قبال النظم والأحكام الفاسدة) نكون قد وضعنا منهجاً تربوياً صحيحاً يساهم في تكوين الأجواء الإسلامية الواعية والصالحة لتربية الفرد والأسرة والمجتمع المسلم، وبذلك

---

(٢٥) سورة الحديد: ٢٨.

نكون قد ساهمنا في وضع اللبنات الأولى لمسار إسلامي متصاعد. وهذه الخطوط العامة التي وضعها القرآن الكريم لا من أجل تكوين الإنسان المتدين فقط، وإنما على أساس تكوين أجواء صالحة يحكمها الإسلام بمفاهيمه المتحركة والمتجذرة في النفس الإنسانية. وبذلك نضمن مستقبلاً زاهراً، كما ساهمت دعوة رسول الله □ في بداية الدعوة الإسلامية في بناء شخصيات عظيمة كأبي ذر، وعمار، والمقداد، وسلمان (سلام الله عليهم) وغيرهم، وهذه المهمة مهمة حضارية ستظل أمانة في أعناق أبناء الأمة الإسلامية في جميع طبقاتهم.

العقائد المنحرفة

وفي نفس الوقت من الواجب عليهم أن يتبصروا في أمر دينهم؛ وذلك من أجل أن لا يغفلوا عن دخول العقائد المنحرفة في دينهم عن طريق المنافقين فقد قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾(٢٦).

القرآن الكريم يكشف لنا عن ملامح وصور وتحركات المنافقين وأصحاب العقائد الفاسدة فانهم أظهروا الإيمان وأبطنوا النفاق والكفر، يريدون أن يفسدوا على المسلمين إسلامهم ويعملوا على إغراء الآخرين بالسير على طريقهم. وهذا الأسلوب الذي يستخدمونه الآن هو نفس الأسلوب الذي استخدمه المنافقون في زمن النبي الأعظم □، عندما كان □ يدعو المسلمين إلى الخروج إلى معركة أحد، فقد حاولوا الإيحاء باهتمامهم بالجهاد في سبيل الله لغرض تثبيط المؤمنين وهم يبثون مكائدهم وشرورهم في كل موقفٍ من المواقف التي تتحرك فيها المعركة، فاذا حصلت لهم القناعة، فإنهم يذهبون إلى المعركة في الصفوف الأولى، وان لم يقتنعوا فانهم يرفضون الاشتراك في القتال وبهذه الصورة واجهوا دعوة الخروج للقتال فقد قالوا بانهم يعتقدون بان الموقف ليس موقف قتال، أرادوا من هذا الموقف الإيحاء للمسلمين باتخاذ نفس الموقف، ولكن الله يحدثنا عن هذه الصورة ليكشف زيف الواقع الذي يعيشونه: ﴿**هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي**

---

(٢٦) سورة آل عمران: ٧٨.

قُلُوبِهِمْ﴾[٢٧]، فإن ﴿**هُمْ**﴾ أي هؤلاء المنافقين ﴿**لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ**﴾ فكلما عمل المنافق باخلاف كان أقرب إلى الكفر، وكلما عمل بالوفاق كان أقرب إلى الإيمان ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ فأفواههم تنطق بالإيمان وقلوبهم تضمر الكفر والعصيان[٢٨].

فليست القضية الانحراف العملي بل هي الانحراف العقائدي والفكري الذي هو الأساس في كل الانحرافات المتعلقة بالسلوك.

الثوب الجديد

اليوم ظهر المنافقون بثوب جديد، وأفكار هدامة، بطراز يختلف عن الطراز القديم، أمثال الفرق المصطنعة على أيادي الاستعمار[٢٩] والتي تعتبر ضلالات لأفكار منحرفة وشيطانية في نفس الوقت، ولها تأثير سلبي خطير على مسيرة الإسلام، فالتصدي لها يعد واجباً شرعياً إسلامياً، لأنهم شوّهوا حقائق هذا الدين الحنيف؛ بسبب انحرافهم الفكري والعقيدي عن جادة الحق والصواب المتمثلة بالكتاب والسنة النبوية الشريفة لأنهما وديعتان عظيمتان وأمانتان كبيرتان، وقد عرَّفهما الرسول الأعظم □ بقوله: «وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا بماذا تخلفوني فيهما»[٣٠].

ولكن . ويا للأسف . حدثت حوادث، وطرأت حواجز عرقلت مسيرة الأمة

---

(٢٧) سورة آل عمران: ١٦٧.

(٢٨) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٤ تفسير سورة آل عمران.

(٢٩) أمثال الوهابية والبابية المذهبين اللذين أسسهما الاستعمار، للتفصيل راجع: مذكرات مستر همفر، ومذكرات كينياز دالكوركي.

(٣٠) بحار الأنوار: ج٢٣ ص١٤٧ ب٧ ح١٠٩.

الإسلامية وحرفتها عن طريقها المستقيم التي تسير به، وخصوصاً في عصرنا الحاضر هذا.

الانحراف الفكري وأثره في الإسلام

قبل أكثر من خمسين عاماً تسلطت عائلة آل سعود[٣١] . الذين لم يكن يزيد عددهم على خمسة آلاف نفر . على بيت الله الحرام، ولم يكن وصولهم إلى دفة الحكم إلا بمساندة الاستعمار البريطاني، حيث سلموهم زمام الأمور في دولة تعد ذات أهمية كبيرة بالنسبة للعالم الإسلامي؛ لأن فيها مهبط الوحي وفيها بيت الله الحرام ومسجد رسول الله □ وقبره، وكذلك قبور بعض الأئمة الطاهرين□، ولكن استطاعت بريطانيا وأعداء الإسلام أن يمرروا من خلال حكام هذه العائلة الضربات تلو الضربات لجذور الدين الإسلامي، ويتخذوا من أرض الإسلام الأولى وقاعدته ومنطلقه، قاعدة لضربه. علماً بأن هذه الضربات كانت مباشرة، وقد أثمرت ثمارها بعد تنفيذها . مع الأسف . فتمكنوا من منع المسلمين من الحج بحرية وتمكنوا من تخريب قبور أئمة البقيع □ مرتين، ومنعوا الناس من زيارتهم واتهموهم بالكفر والشرك والإلحاد، ولا يزالون يحوكون المؤامرات تلو المؤامرات ضد المسلمين إلى يومنا هذا.

لكن هل وقف المسلمون متحدين لمواجهة هذا اللون من الانحراف الضال، والعمل غير اللائق والمعادي للإسلام، مع ان المسلمين يمتلكون القدرة والمهارة لردع ذلك، ولكن . للأسف الشديد . بعض المسلمين لا يشعرون بالمسؤولية تجاه هذه الأعمال المنحرفة ووضع حد لها لحد الآن.

إن أعداءنا بثوا ولا يزالون يبثون الأفكار الفاسدة في العالم الإسلامي من خلال

---

(٣١) آل سعود أسس هذه السلالة محمد بن سعود، وهم من الوهابية ظهروا في نجد من عشيرة مقرن من عنزة ساهموا في نشر المذهب الوهابي، استولوا على الجزيرة العربية وأعلنوها مملكة عام (١٩٣٢هـ) بمساعدة الاستعمار.

الكتب الكثيرة، والصحف والمجلات والأقمار الصناعية والإذاعات المرئية والمسموعة إذ ملأوها بالأفكار الهدامة، والسب والشتم لأئمة الإسلام وقادته، الذين قام الدين على أكتافهم، وهم أهل البيت □.

نقل الأموات

إن عداوتهم لنا جدية ومتأصلة في هذا المجال، لأننا أتباع أهل البيت □، وقد قلت ذات مرة لأحد الأخوة أن يكتب جواباً على الكتابات المنحرفة والمنكرة، إلا أنه أجابني قائلاً: انا ليس عندي سعة بال لنقل الأموات، وكان يعني نقل الكلمات الميتة في كتب الأعداء، ولكن كان علينا ان لا ننسى قول نبينا الأعظم □: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، ليس وراء ذلك شيء من الإيمان ـ وفي رواية أن ذلك أضعف الإيمان ـ»[٣٢] .

وقال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب □ : «وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ ولِسَانِكَ وبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ولا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ»[٣٣].

وكلام النبي □ وأمير المؤمنين □ حجة علينا يوم القيامة ويجب علينا رفع هذه الشبهات والضلالات الموجودة فينا نحن المسلمين، والتي تدور في اذهان البعض بأن الرد على مزاعم المنحرفين انه (نقل أموات) ما هي إلا مغالطة وفرار عن العمل، وهل التأليف والرد على كتب الأعداء وتفنيد مزاعمهم وبلسان العصر يعد نقل أموات؟! ان هذا لا يعد نقل أموات بل واجب شرعي فرضته الشريعة المقدسة، وغداً نحن مسؤولون عنه؛ ألم يقل الحق تعالى:﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾[٣٤] فان عدم الشعور بالمسؤولية تجاه هداية المجتمع، وبالخصوص الشباب منهم، والذود عن حريم المذهب أمام الأعداء سيعود علينا بالأخطار الجسام، فلا يجب أن يكون

---

(٣٢) المستدرك: ج**١٢** ص**١٩٢** ب**٣** ح**١٣٨٥٣**.

(٣٣) نهج البلاغة، الكتب: **٣١**، من وصية له □ للحسن بن علي □ كتبها إليه.

(**٣٤**) سورة الصافات: **٢٤**.

موقفنا تجاه المخاطر كقول الشاعر:

ولقـــــد أبصـــــرت قـــــدامى طريقـــــــاً فمشـــــــيت

فان السير بلا هدف ولا مسؤولية ولا اهتمام يعتبر مسيراً عشوائياً وتخبطاً لا يسمن ولا يغني من جوع، فلابد للمسلمين من اتباع أساليب جديدة عصرية تستمد قواعدها من القرآن الكريم وسنة النبي الأعظم □ لنشر تعاليم دينهم والدفاع عنه؛ لأن الله سبحانه أنزلها من أجل هداية الناس يحاسبنا حينما نقصر في الدعوة إليه وتوضيح طريق العبودية الحقّة: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَ لِيَعْبُدُونِ**﴾(٣٥).

(**٣٥**) سورة الذاريات: **٥٦**.

متطلبات العصر

وكذلك يجب علينا أن نتعامل مع متطلبات العصر بحسب التقدم والتطور، لأننا لا يمكن أن نساوي بين أنوار الشمع التي كان يستخدمها الناس في القديم مع أنوار مصابيح الكهرباء في عصر التقدم والتطور هذا! ولا يمكن أن يستوي السفر بالطائرة مع السفر على ظهور الحيوانات؛ فإن ذلك غير معقول ونرى هذا المعنى في قوله جل وعلا: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۞ وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ**﴾(٣٦).

والذي لا يدرك ذلك يكون قد شارك في صب المصائب على المسلمين.

(**٣٦**) سورة فاطر: **١٩-٢٠**.

كيف نخطو إلى الأمام

والآن وبعد أن عرفنا كل هذا نطرح سؤالاً مهماً، وهو كيف يمكننا أن نخطو إلى الأمام؟

إن الغرب والشرق هم الذين يقومون بقتل أبناء الإسلام كل حين، وما يزال البعض من أولئك الأعداء الغربيين والشرقيين يتحكمون في بلادنا الإسلامية، وينهبون ثرواتها وخيراتها ويزرعون الأفكار المنحرفة في قلب بلداننا، لنأخذ في ذلك مثال الحج الذي قال الله تعالى عنه: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾(٣٧) فقد اتخذه الأعداء مركزاً للنفاق والتفرقة وتشتيت المسلمين، فهناك في مكة يوجه الأعداء الكلمات الجارحة للمسلمين المؤمنين فيقولون للمسلم: كافر وللمؤمن منافق، ولمحب آل الرسول □ مشرك وملحد؛ لذا يجب بث روح التوعية الإسلامية بين الناس وإطلاعهم حول كل ما يدور على الساحة العالمية. وبكل ما يتعلق بشؤون الحياة العلمية والاجتماعية، وعلى كل ما يحتاجه المسلمون من مقومات وذلك لاستعادة عزتهم وشرفهم وكرامتهم، وعلى المختصين ان يسعوا أكثر فأكثر في طريق إيجاد الحلول الصائبة لمشاكل المسلمين، وذلك بالاعتماد على الروح الإيمانية الصادقة وعلى العقيدة السمحاء، وبذلك فإن الإنسانية تأخذ طريقها الصحيح والسليم إذا تفاعلت مع تلك الروح.

قال تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ**

---

(٣٧) سورة الحج: ٢٨.

إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣٨].

(**٣٨**) سورة التوبة: **١٠٥**.

من جرائم المستكبرين

لقد خطط الاستعمار طويلاً لإيجاد طرق وأساليب مختلفة يمزق بها العالم الإسلامي إلى دويلات، ويخلق لأهلها المشاكل والاختلافات، فتركمنستان هي بلد كبير يقع بين الصين والاتحاد السوفييتي[٣٩]، وكانت جزءاً من البلاد الإسلامية، إلا أن الروس اقتطعوها من البلاد الإسلامية، وضموها إلى بلادهم، بعد ان قتلوا فيها أكثر من ثلاثمائة ألف مسلم، وكذلك مدينة بخارى[٤٠] احدى المدن العامرة التي كان فيها قبل الغزو حوالي (٣٠٠) مدرسة للعلوم الإسلامية غير انها هدمت بأيدي الغزاة السوفييت.

وقد ذكر في كتاب للسيد باب خاني انه في المائتي سنة الماضية، كان التعداد السكاني لإيران يقدر بمائة مليون نسمة، لكن وبسبب غفلة بعض الحاكمين آنذاك قسمت إيران إلى أجزاء، ومنذ ذلك الحين والى الآن أصبح تعداد سكان إيران ما يقارب (٥٠) مليون نسمة.

وخلاصة القول: إن المسلمين إذا لم يدخلوا ساحة المعركة بسلاح الإخلاص والإيمان والعلم ويعملوا وفق مخطط ومنهج مدروس فسوف لن يتمكنوا من النجاة من المخططات الاستعمارية التي لم ينفذها أعدائهم بعد.

---

(٣٩) ألقيت هذه المحاضرة قبل انهيار الاتحاد السوفييتي.

(٤٠) وتقع في الجنوب الغربي لروسيا، ضمن جمهورية (اوزبكستان) وهي شهيرة بمساجدها ومدارسها.

طريق التغيير

ولعل أهم برنامج عملي يمكن أن يأخذ بأيدينا إلى الخلاص لو التزمنا به ومشينا في طريقه هو عبارة عن ما يلي:

أولاً: تأسيس التنظيمات الإسلامية الجماهيرية الاستشارية الحرة، وذلك لأن: «مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ ومَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا»[٤١]، والإسلام يحبذ الاستشارة في كل شيء حتى في الأمور الصغيرة فكيف بالأمور المرتبطة بعالم الإسلام والمسلمين.

ثانياً: توحيد الحركات الإسلامية العاملة؛ إذ من الضروري أن تنصهر كل الحركات العاملة في حركة واحدة موحدة، مادام الهدف هو تطبيق الإسلام ونشر أحكامه في أرجاء المعمورة؛ قال الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾[٤٢]، ومن الواضح أن الاختلاف في الحركات الإسلامية يوجب تقسيم الطاقات إلى عدة جوانب ولا يمكن إنقاذ المسلمين بدون طاقة كبيرة فعالة وعاملة.

ثالثاً: نشر الوعي في البلاد الأجنبية، وذلك يتم عبر تثقيف المسلمين المتواجدين في البلاد الأجنبية بالثقافة الإسلامية وتعليمهم كيفية التبليغ للإسلام، وإيصال صوت الإسلام إلى الكفار والمعادين للإسلام، وذلك عبر جميع الوسائل المتاحة والمتوفرة لدى المسلمين من إذاعات وصحف ومجلات وغيرها.

رابعاً: الإيثار في العمل التنظيمي، لأنه يسبب ثقة الجماهير بالشخص والحركة،

---

(٤١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٦١.

(٤٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

فالايثار في كل شيء إذا راعته الحركة انتصرت. يقول الإمام علي □: «بالإيثار على نفسك تملك الرقاب»(٤٣).

وقال □: «من شيم الأبرار حمل النفوس على الإيثار»(٤٤).

وكذلك قال □: «الإيثار أحسن الإحسان وأعلى مراتب الإيمان»(٤٥).

خامساً: انتخاب حاكم أعلى للمسلمين، أو مجلس للحكومة، مكون من الأمة ومخلصيهم حسب أكثرية الآراء؛ فإن «ما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم»(٤٦)، وكذلك يجب ان يتصف بحسن الولاية يقول رسول الله □: «من ولي شيئاً من أمور أمتي فحسنت سريرته لهم رزقه الله تعالى الهيبة في قلوبهم، ومن بسط كفه لهم بالمعروف، رزق المحبة منهم، ومن كف يده عن أموالهم وقى الله عزوجل ماله، ومن أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنة مصاحباً، ومن كثر عفوه مد في عمره، ومن عم عدله نصر على عدوه..»(٤٧).

وكذلك يجب ان يتصف بالقدرة على الولاية والتحلي بالأخلاق الإنسانية الرفيعة يقول الله تعالى: ﴿**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ**﴾(٤٨).

مجلس الشورى

من الواضح أن هذه الخطط والبرامج تخضع إلى مجلس شورى الفقهاء المراجع، الذين هم امتداد لخط النبي وأهل البيت□، كما فصلنا ذلك في بعض الكتب(٤٩).

---

(٤٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٩٦ الفصل ٦ في الإيثار ح٩١٦٩.

(٤٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٩٦ الفصل ٦ في الإيثار ح٩١٧٥.

(٤٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٩٦ الفصل ٦ في الإيثار ح٩١٦٢.

(٤٦) تحف العقول: ص٢٣٣ قصار المعاني.

(٤٧) كنز الفوائد: ج١ ص١٣٥ فصل مما ورد في ذكر الظلم.

(٤٨) سورة الأنفال: ٣٤.

(٤٩) راجع كتاب (الشورى في الإسلام) للإمام المؤلف (دام ظله).

وبعد التدرع بهذا الدرع . الإيمان والإخلاص والانتماء أخيراً إلى مجلس شورى الفقهاء . الذي يناسب هذه المعركة تتم المواجهة للدفاع عن الدين الحنيف ويمكن لهم الخوض ضد الأعداء نزالاً ومواجهة في كل الميادين وخاصة في المجالات الفكرية والثقافية، وإن لم يفعلوا ذلك فسيكون غدهم أسوأ من حاضرهم والعياذ بالله.

إلى العاملين

أريد أن أذكر هنا ﴿**فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٥٠] ان الدرع الأول الواقي والحصن المنيع لهذه المواجهة، هو التمسك بمبادئ الدين الإسلامي وعترة المصطفى ؛ ذلك لأن للدين دوراً هاماً في تصحيح أفكار الإنسان عن طريق جذور الدين المتصلة بالفطرة الإنسانية، وبالربط بين الفطرة والدين وبالعمل على تقوية هذه الرابطة سوف يحصل الإنسان على الاستقامة: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾[٥١].

وهذه الآية تبين لنا علاقة الدين بالإنسان وتأثير الدين في حركة الإنسان، فان دعوة الإنسان إلى هذه الفطرة تجعله جبلاً راسخاً صلباً.

وأما الحصن الثاني الذي يكون موازياً للأول فهو ولاية أمير المؤمنين فقد جاء عن الإمام الرضا عن موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن محمد بن علي عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي: «عن علي بن أبي طالب عن النبي عن جبرائيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم قال: يقول الله عزوجل: ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن ناري»[٥٢].

وهذا الحصن المنيع فيه دعائم قوية وصلبة متمثلة بأهل بيت العصمة والطهارة وفيهم النجاة والنصر كما أكد ذلك رسول الله: «إنما مثل أهل بيتي فيكم

---

(٥٠) سورة الذاريات: ٥٥.

(٥١) سورة الروم: ٣٠.

(٥٢) معاني الأخبار: ص٣٧١ باب معنى آخر لحصن الله عزوجل ح١.

كسفينة نوح من دخل فيها نجا ومن تخلف عنها غرق»[٥٣].

وخلاصة الأمر أن الدين الإسلامي هو الحصن المنيع في خضم هذه المتقلبات والفتن التي تجري في العالم وخصوصاً في العالم الإسلامي، وكذلك هو الأساس الذي كثيراً ما ركز عليه القرآن: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[٥٤].

عن الإمام الباقر □ في شرح هذه الآية المباركة يقول: «فإن اتباعكم إياه . أي أمير المؤمنين □ . وولايته أجمع لأمركم وأبقى للعدل فيكم»[٥٥].

إن أهل الذكر الذين ورثوا العلم القرآني نجد علمهم نوراً وكلامهم هداية؛ لأن حديثهم حديث رسول الله □ والرسول لا ينطق عن الهوى، وقد قال المفسرون أن قوله تعالى:﴿**لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ أي ولاية أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب□، فهذه الولاية إذن تحيي النفوس وتبني الفرد، والأسرة، والمجتمع، وتوضح طريق الحق والعدل في العلم والعمل والتقوى والعبادة والسلوك وحفظ الكرامة.

اللهم أحيني حياة محمد وذريته وأمتني مماتهم وتوفني على ملتهم واحشرني في زمرتهم ولا تفرق بيني وبينهم طرفة عين أبداً في الدنيا والآخرة[٥٦].

(**٥٣**) الاحتجاج: ص**٢٧٣** احتجاج الإمام الحسن □.

(**٥٤**) سورة الأنفال: **٢٤**.

(**٥٥**) تفسير القمي: ج**١** ص**٢٧١** في تفسير سورة الأنفال.

(**٥٦**) مصباح الكفعمي: ص**٤٨٨** الفصل **٤١** في الزيارات.

من هدي القرآن الحكيم

المؤمن بعمله

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾(٥٧).

وقال عزوجل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾(٥٨).

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً﴾(٥٩).

وقال جل وعلا: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾(٦٠).

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٦١).

---

(٥٧) سورة الأنبياء: ٩٤.

(٥٨) سورة النساء: ١٢٤.

(٥٩) سورة طه: ١١٢.

(٦٠) سورة الروم: ٤٤.

(٦١) سورة البقرة: ١٧٧.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال عزوجل: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٦٢).

وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٦٣).

وقال جل وعلا: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(٦٤).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(٦٥).

الشورى والاستشارة

قال عزوجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٦٦).

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ

---

(٦٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٦٣) سورة التوبة: ٧١.

(٦٤) سورة لقمان: ١٧.

(٦٥) سورة الحج: ٤١.

(٦٦) سورة آل عمران: ١٥٩.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٦٧].

سوء العاقبة

قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٦٨].

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٦٩].

وقال عزوجل: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٧٠].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[٧١].

الانحراف عن الصراط السوي

قال جل وعلا: ﴿ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾[٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾[٧٣].

وقال عزوجل: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾[٧٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً﴾[٧٥]

---

(٦٧) سورة الشورى: ٣٨.

(٦٨) سورة المائدة: ٤٥.

(٦٩) سورة الأنعام: ١٣٥.

(٧٠) سورة يونس: ٣٩.

(٧١) سورة القصص: ٥٩.

(٧٢) سورة البقرة: ١٠٨.

(٧٣) سورة النساء: ١١٦.

(٧٤) سورة النساء: ١٣٦.

(٧٥) سورة الأحزاب: ٣٦.

وقال جل وعلا: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾(٧٦).

الحكومات الجائرة وآثارها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾(٧٧).

وقال عزوجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَدِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾.(٧٨)

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٧٩).

من هدي السنة المطهرة

الاستشارة عين الهداية

قال رسول الله □: «مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف فانّ في ذلك العطب»(٨٠).

وقال الإمام أمير المؤمنين □: «لا مال أعود من العقل..

---

(٧٦) سورة الجاثية: ٢٣.

(٧٧) سورة النمل: ٣٤.

(٧٨) سورة الفجر: ٦-١٢.

(٧٩) سورة القصص: ٤.

(٨٠) المحاسن: ص٦٠٢ باب الاستشارة ح٢٥، ومكارم الأخلاق: ص٣١٩.

ولا مظاهرة أوثق من المشاورة»[٨١].

وقال الإمام الصادق □: «قال لقمان لابنه: إذا سافرت مع قوم، فاكثر استشارتك إياهم في أمرك وأمورهم.. وإذا استشهدوك على الحق، فاشهد لهم. واجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تثبت وتنظر، ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد، وتنام وتأكل وتصلي، وأنت مستعمل فكرك وحكمتك في مشورته، فإن من لم يمحّض النصيحة لمن استشاره سلبه الله تبارك وتعالى رأيه ونزع عنه الأمانة»[٨٢].

العمل رفيق المؤمن

قال النبي الأعظم □: «..فانكم اليوم في دار عمل ولا حساب، وانتم غداً في دار حساب ولا عمل»[٨٣].

وقال الإمام أمير المؤمنين □: «العمل رفيق الموقن»[٨٤].

وقال الإمام الرضا □: «..انه ليس بين الله وبين أحد قرابة، ولا ينال أحد ولاية الله إلا بالطاعة. ولقد قال رسول الله □ لبني عبد المطلب: ايتوني بأعمالكم لا بأحسابكم وأنسابكم، قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ ۞ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾[٨٥] »[٨٦].

الموعظة حياة القلوب

---

(٨١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١١٣.

(٨٢) الكافي: ج٨ ص٣٤٨ ب٨ ح٥٤٧.

(٨٣) الخصال: ص٥١ أخوف ما يخاف على الناس خصلتان ح٦٢.

(٨٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥١ الفصل ٤ في العمل ح٢٧٧٩.

(٨٥) سورة المؤمنون: ١٠١-١٠٣.

(٨٦) عيون أخبار الرضا □: ج٢ ص٢٣٥ ب٥٨ ح٧.

من وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن □ انه قال: «أحي قلبك بالموعظة»(٨٧).

وقال الإمام الصادق □: «قيل لأمير المؤمنين □: عظنا وأوجز، فقال: الدنيا حلالها حساب، وحرامها عقاب، وأنى لكم بالروح ولما تأسّوا بسنة نبيكم، تطلبون ما يطغيكم، ولا ترضون ما يكفيكم»(٨٨).

وقال الإمام الصادق □: «..وخذ موعظتك من الدهر وأهله، فإن الدهر طويله قصير وقصيره طويل وكل شيء فانٍ، فاعمل كأنك ترى ثواب عملك لكي يكون أطمع لك في الآخرة لا محالة»(٨٩).

من مواعظ أبي الحسن الهادي □ انه قال: «ان الله جعل الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة، من بلوى الدنيا عوضاً»(٩٠).

من فضائل علي □

قال رسول الله □: «إن أخي ووزيري وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي، يقضي ديني، وينجز بوعدي علي بن أبي طالب»(٩١).

وقال الإمام أمير المؤمنين □: «ما نزلت عليه . على النبي □ . آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض، ولا دنيا وآخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبال ولا ضياء ولا ظلمة إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بيدي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها وأين نزلت وفيم نزلت

---

(٨٧) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١ من وصيته □ للإمام الحسن □ كتبها بحاضرين عند انصرافه من صفين.

(٨٨) الكافي: ج٢ ص٤٥٩ باب محاسبة المال ح٢٣.

(٨٩) الكافي: ج٨ ص٤٦ ح٨.

(٩٠) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٣٦٥ ب٢٨ ح١.

(٩١) أمالي الشيخ المفيد □: ص٦١ المجلس ٧ ح٦.

إلى يوم القيامة»[٩٢].

وقال الإمام أمير المؤمنين □: «يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فان عندي علم الأولين والآخرين أما والله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم.. ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرئ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت..»[٩٣].

من أقوال الإمام أمير المؤمنين □ في الضلالة وانها الخسران المبين:

قال □ وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهروان: «بؤساً لكم، لقد ضركم من غركم»، فقيل له: من غرهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: «الشيطان المضل، والأنفس الأمّارة بالسوء غرتهم بالأماني وفسحت لهم بالمعاصي ووعدتهم الإظهار فاقتحمت بهم النار»[٩٤].

وقال □: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم.. لا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»[٩٥].

وقال □ أيضاً: «إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته..»[٩٦].

وقال □: «الضلالة على وجوه: فمنه محمود، ومنه مذموم، ومنه ما ليس بمحمود ولا مذموم، ومنه ضلال النسيان: فامّا الضلال المحمود وهو المنسوب إلى الله

---

(٩٢) تحف العقول: ص١٩٦ وصفه □ لنقله الحديث.

(٩٣) الارشاد للمفيد: ج١ ص٣٥ فصل ومن ذلك ما جاء في فضله □ على الكافة في العلم.

(٩٤) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٢٣.

(٩٥) نهج البلاغة، الخطبة ٩٧ من خطبة له □ في أصحابه وأصحاب رسول الله □

(٩٦) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة.

تعالى كقوله: ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ**﴾[٩٧] هو ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم.

والمذموم هو قوله تعالى: ﴿**وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾[٩٨] و﴿**وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى**﴾[٩٩] ومثل ذلك كثير، وأما الضلال المنسوب إلى الأصنام فقوله في قصة إبراهيم: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ**﴾[١٠٠] والأصنام لا يضللن أحداً على الحقيقة، إنما ضل الناس بها وكفروا حين عبدوها من دون الله عزوجل.

وأما الضلال الذي هو النسيان فهو قوله تعالى: ﴿**أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾[١٠١] وقد ذكر الله تعالى الضلال في مواضع من كتابه فمنهم ما نسبه إلى نبيه على ظاهر اللفظ كقوله سبحانه: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى**﴾[١٠٢] معناه: وجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك[١٠٣].

مفاسد المستكبرين

قال النبي □: «شر خلق الله خمسة: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون ذي الأوتاد، ورجل من بني إسرائيل ردهم عن دينهم، ورجل من هذه الأمة يبايع على كفر عند باب لد»[١٠٤].

---

(٩٧) سورة النحل: ٩٣.

(٩٨) سورة طه: ٨٥.

(٩٩) سورة طه: ٧٩.

(١٠٠) سورة إبراهيم: ٣٦.

(١٠١) سورة البقرة: ٢٨٢.

(١٠٢) سورة الضحى: ٧.

(١٠٣) بحار الأنوار: ج٥ ص٢٠٨ ب٧ ح٤٨.

(١٠٤) تفسير نور الثقلين: ج٥ ص٥٧٢ ح٧ في تفسير سورة الفجر، واللد: بالضم والتشديد، قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين، والرجل المقصود هو (معاوية بن أبي سفيان).

وعن الإمام الصادق □ عندما سأل عن قول الله عزوجل ﴿**وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ**﴾ لأي شيء سمي ذا الأوتاد؟ قال: «لأنه كان إذا عذب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه ومد يده ورجليه فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، وربما بسطه على خشب منبسط، فوتد رجليه ويديه بأربعة أوتاد، ثم تركه على حاله حتى يموت فسماه الله عزوجل (فرعون ذا الأوتاد)»[١٠٥].

وقال □: «فولاية الوالي الجائر وولاية ولاته الرئيس منهم، وأتباع الوالي فمن دونه ولاة الولاة .. حرام.. وذلك أن في ولاية الوالي الجائر دوسَ الحق كله، وإحياء الباطل كله، وإظهار الظلم والجور والفساد، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء، والمؤمنين، وهدم المساجد، وتبديل سنة الله وشرايعه، فلذلك حرم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم، إلا بجهة الضرورة، نظير الضرورة إلى الدم والميتة»[١٠٦].

---

(١٠٥) تفسير نور الثقلين: ج٥ ص٥٧٢ ح٦ في تفسير سورة الفجر.

(١٠٦) تحف العقول: ص٣٣٢ جوابه □ عن جهات معائش العباد.

الفهرس

كلمة الناشر ٣
الإخلاص في العمل ٦
ستة آلاف كلمة ٧
العمل الصالح ٩
بين العمل الصالح والعمل الطالح ١٠
المسلمون في بلد الإسلام ١٢
من أسباب تخلف المسلمين ١٣
العقائد المنحرفة ١٥
الثوب الجديد ١٦
الانحراف الفكري وأثره في الإسلام ١٧
نقل الأموات ١٩
متطلبات العصر ٢١
كيف نخطو إلى الأمام ٢٢
من جرائم المستكبرين ٢٤
طريق التغيير ٢٥
مجلس الشورى ٢٦
إلى العاملين ٢٨
من هدي القرآن الحكيم ٣٠
من هدي السنة المطهرة ٣٣
الفهرس ٣٩

رجوع إلى القائمة